﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

[النّور:10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ عِظَمِ نعمه تعالى على عباده فيما بَيَّنه من تلك الأحكام

لمّا بَيَّن ربُّنا ﷻ حُكْمَ الرّامي للمحصنات والأزواج، وكان في ذلك من الرَّحمة والنِّعمة ما لا خفاء فيه، لأنَّه تعالى جعل باللِّعان للمرء سبيلًا إلى مُراده، ولها سبيلًا إلى دفع العذاب عن نفسها، ولهُما السَّبيل إلى التَّوبة والإنابة، فلأجل هذا بَيَّنَ تعالى بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ عِظَمَ نعمه فيما بينه من هذه الأحكام، وفيما أمهل وأبقى ومَكَّن من التَّوبة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَضْلُ﴾: (فضل) أَصْلٌ يَدُلُّ على زيادَةٍ في شَيْءٍ، مِنْ ذلِكَ الفَضْلُ: الزِّيادَةُ في الشَّيْءِ[2]، سَواءً كان مَحْمودًا أو مَذْمومًا، واسْتِعْمالُهُ في المَحْمودِ أَكْثَرُ، يُقالُ: فضَلَ الشَّيْءُ فضْلًا؛ أيْ: زادَ، وضِدُّه: النَّقْصُ[3]، والفَضْلُ: الشَّرَفُ والخَيْرُ والرِّزْقُ، ورَجُلٌ فاضِلٌ: ذو شَرَفٍ وخَيْرٍ، والإفْضالُ: الإحْسانُ، والفَضائِلُ: خِصالُ الخَيْرِ، ويأْتي الفَضْلُ بِمعنى بَقيَّةِ الشَّيْءِ، والجَمْعُ: أَفْضالٌ[4]، والمُراد بفضل اللّه في الآية: كرمه، وجوده، وإحسانه[5].

2) ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾: (رحم) أصلٌ يَدُلُّ على الرِّقَّةِ والعَطْفِ والرَّأْفَةِ، يُقالُ: رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إذا رَقَّ له وتَعطَّفَ عليه[6]، والرَّحْمَةُ رِقَّة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 337، والمغراويّ، التَّدبر والبيان في تفسير القرآن: 23/ 97.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والرّاغب، المُفردات: (فضل).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (فضل).
(5) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 6/ 334.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).

تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُستعمل تارة في الرِّقَّة المُجرَّدة، وتارة في الإحسان المُجرَّد عن الرِّقَّة، نحو: رَحِمَ اللّه فلانًا، وإذا وُصِف به الباري فليس يراد به إلّا الإحسان المجرَّد دون الرّقَّة، وعلى هذا روي أنَّ الرَّحْمَةَ مِنَ اللّه إنعامٌ وإفضالٌ، ومِن الآدميّين رِقَّةٌ وتعطُّفٌ[1]، والرَّحْمَةُ أيضًا: المَغفِرةُ؛ وقوله تعالى في وصْفِ القُرآنِ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:52][2]، والرَّحْمَةُ كذلك: النُّبوَّة[3]، والمُراد بالرَّحمة في الآية: ما به رِفْقٌ بالغَيْرِ وإحسانٌ إليه[4].

3) ﴿تَوَّابٌ﴾: أَصْلُ التَّوبة: الرُّجوعُ والعَوْدَةُ، يُقال: تابَ اللّهُ عليه؛ أيْ: رَجَعَ عليه بِفَضْلِهِ وقَبولِهِ[5]، التَّوْبَةُ: الرُّجوعُ مِن الذَّنْبِ والإنابَةُ،[6]، والتَّوّابُ: كَثيرُ التَّوْبَةِ والرُّجوع[7]، والتَّوّاب أيضًا: التّائب على التّائبين بعد توبتهم قبولًا لها، وعفوًا عن خطاياهم[8]، والمُراد بها في الآية: وصفٌ للّه تعالى، من تاب؛ أيْ: قَبِل التَّوبة، وأنَّه سبحانه كثير القبول للتَّوبة من عباده.

4) ﴿حَكِيمٌ﴾: (حكم) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو المَنْعُ، وأَوَّلُ ذلكَ الحُكْمُ، وهو المَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ، وكُلُّ شَيْءٍ مَنَعْتَهُ مِن الفَسادِ فقد حَكَمتَهُ وأَحْكَمتَهُ[9]، والإحْكامُ: الحُسْنُ والإتْقانُ، يُقال: أَحْكَمتُ صُنْعَ الشَّيءِ؛ أيْ: أَتْقَنْتَهُ، والحَكيمُ: المُتْقِنُ للأُمورِ[10]، والحِكْمَةُ: إصابةُ الحقِّ بالعِلْمِ والعَقْلِ، فالحكمة من اللّه تعالى: معرفةُ الأشياء وإيجادُها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفةُ الموجودات وفِعل الخيرات[11]؛ وسُمّيت بذلك لِأَنَّها تَمنَعُ صاحِبَها مِنَ الوُقوعِ في الغَلَطِ والضَّلالِ، قالَ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: 1]، والمقصودُ بالحكيم في الآية: أَنَّهُ تعالى ذو حِكْمَةٍ في استصلاح عباده[12].

(1) الرّاغب، المُفردات: (رحم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (رحم).
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 5/ 90، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 173.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 216.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (توب).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والفيوميّ، المصباح المنير، والزّبيديّ، تاج العروس: (تاب - توب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (توب)، والسّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 419.
(8) ابن القيم، مدارج السّالكين: 1/ 339.
(9) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(10) ابن منظور، لسان العرب، والزبيديّ، تاج العروس: (حكم).
(11) الرّاغب، المُفردات، والسّمين، عُمدة الحُفّاظ: (حكم).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 18/ 169.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بَيانُ فضْلِ اللهِ ورَحمتِه على عِبادِه بالشَّرعِ والقدَرِ

يقول الحقُّ سبحانه: ولولا فضْلُ اللهِ عليكم - أيُّها النّاسُ - ورَحمَتُه بكم، وأنَّ اللهَ يجودُ على خَلْقِه بنِعَمِه، ويُنزِلُ رَحمتَه على مَن تابَ مِن عِبادِه، حَكيمٌ في قدَرِه وشَرْعِه وتَدبيرِ خلْقِه، ومِن ذلك ما شرَعَ لعِبادِه مِن حُكْمِ اللِّعانِ - لَعاجَلَكم بالعُقوبةِ على مَعاصيكم، ولفَضَحَ المُذْنِبينَ منكم، فاشْكُروا اللهَ واتَّقوهُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في صَدْرِ الآية الكريمة:

التَّذييلُ ببيانِ النِّعمةِ والحِكْمَةِ بعد بيانِ الأحكامِ الكريمة

قَولُه تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ تَذييلٌ لِما مَرَّ مِن تلك الأحكامِ العظيمةِ المُشتمِلةِ على التَّفضُّلِ مِن اللهِ والرَّحمةِ منه، والمُؤْذِنةِ بأنَّه توّابٌ على مَن تابَ مِن عِبادِه، والمُنْبِئةِ بكَمالِ حِكْمَتِه تعالى، فلمّا دخَلَتْ تلك الأحكامُ تحتَ كُلِّيِّ هذه الصِّفاتِ، كان ذِكْرُ الصِّفاتِ تَذييلًا[2].

دلالة حرف (لولا) وأثره:

بيانُ السَّببِ والمانعِ بأنَّ امتناعَ الجزاءِ المحذوفِ لوجودِ فضلِ اللهِ ورحمته

(لَوْلا) شرطيَّة، ويُسميها النُّحاة حرف امتناع لوجود، يعني أنَّها مَنعت شيئًا لوجود شيء، وهُنا سُؤال ما الذي امتنع لوجود الشَّيء؟ والجواب: أنَّ الذي امتنع هو الجواب المحذوف؛ أيْ: جواب ﴿وَلَوْلَا﴾ وهو ما قدَّره بعضهم بقوله: ليُبيِّن الحَقَّ في ذلك، وعاجل بالعقوبة من يستحقُّها[3]، هذا هو الذي امتنع، لوجود فضْلِ اللهِ، فالحاصل: أنَّ الذي مَنعَ جواب ﴿وَلَوْلَا﴾ في هذه الآية هو فضل الله ورحمته[4] وفي هذا إثباتُ الأسبابِ والموانعِ؛ لأنَّ هذه الآيةَ فيها مانعٌ وفيها

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 188، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 15، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 13.

(2) الطّيبي، حاشيته على تفسير الكشّاف: 11/ 31، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 168.

(3) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 5/ 270.

(4) ابن عثيمين، تفسير سورة النّور، ص: 47.

سبَبٌ؛ فالسَّببُ ذُنوبُنا وما نحنُ عليه مِنَ الأخطاءِ، والمانعُ الَّذي يَمنَعُ مِن العُقوبةِ هو فضْلُ اللهِ ورَحمتُه[1].

الغرض من حذف جواب ﴿وَلَوْلَا﴾:

قـضـدُ تَـهـويـلِ مَـضـمـونـه وتَعظيمِه

جواب ﴿وَلَوْلَا﴾ محذوفٌ لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره، كأنَّه قيل: لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنَّه تعالى مبالغ في قبول التَّوبة، حكيم في جميع أفعاله وأحكامه، التي من جملتها: ما شرع لكم من حكم اللِّعان، لكان ما كان، مِمّا لا يحيط به نطاق العبارة[2]، ومن تقديره: لهلكتم أو لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة أو لتبين الكاذب ولَكَشَفَ الزناة بأيسر من هذا أو لأخذهم بعقاب من عنده، ونحو هذا من المعاني التي يوجب تقديرها إبهام الجواب من حَدِّ الزَّوج مع الفضيحة، أو قتل المرأة، أو غير ذلك من العقوبة، ولبقيتم في هذه المُعضلة ولم تهتدوا إلى الخروج من هذه الحالة المُشكلة[3]؛ فالمحذوف عظيم لا يُكتنه كنهه[4]، فهذا الحذف لقَصْدِ تَهويلِ مَضمونِه وتَعظيمِه؛ ويَدُلُّ تَهويلُه على تَفخيمِ مَضمونِ الشَّرطِ الَّذي كان سببًا في امتِناعِ حُصولِه، وأيضًا لِتَذهَبَ النَّفْسُ كلَّ مَذهبٍ مُمكِنٍ في تَقديرِه بحسَبِ المَقام[5]، فهو كما قالوا: رُبَّ مسكوت عنه أبلغ من منطوق به[6].

إيثار لفظ الفضل ومعناه:

الإشـــارة إلى فـضـل الـلـه الـشَّـرعـيِّ والقدريِّ

الفضل بمعنى التفضل بأنواع النِّعم التي من جملتها عدم تفضيحكم، وعدم التَّعجيل بالعُقوبة لعلكم تتوبون، ورحمته في

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة النّور، ص: 53.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 159، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 54.
(3) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 168، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 19.
(4) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5152.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 185.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 220.

الآخرة بالعفو والغفران[1]، وفي التّعبير به بَيانُ فضْلِ اللّهِ ورَحمتِه على عِبادِه بالشَّرعِ والقدَرِ؛ أمّا بالشَّرعِ فلولا أنَّ اللّهَ تفضَّلَ علينا ورَحِمَنا، وشرَعَ للأزواجِ ما شرَعَ مِن اللِّعانِ، لَكان الزَّوجُ يقَعُ في حرَجٍ عظيمٍ؛ لأنَّه إنْ تكلَّمَ يُقامُ عليه حَدُّ القذْفِ، وإنْ سكَتَ سكَتَ عن أمرٍ عظيمٍ، لكنْ مِن فضل اللّه أنَّه شرَعَ اللِّعانَ، وكذلك في القدَرِ في قضيَّةِ المُتلاعنَين: أنَّه لولا أنَّ اللّهَ تعالى يُحِبُّ السَّتْرَ، لَفضحَ المرأةَ، وأظهَرَ آيةً تدُلُّ على صِدْقِ الزَّوجِ، أو بالعكْسِ إذا كان الزَّوجُ كاذبًا، لكنْ مِن فضل اللّه أنَّه ﷻ يَستُرُ على عِبادِه في الدُّنيا مِثْلَ هذه الأمورِ، ثمَّ يُجازيهم عليها في الآخرةِ[2].

سرُّ إضافة الفضل إلى اسم الجلالة ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾:

بيان عظمة هذا الفضل وكماله

قوله تعالى: ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾؛ أيْ: بما له من الكرم والجمال، والاتصاف بصفات الكمال[3] وإضافة الفضل إلى اللّه يُشير إلى كمال هذا الفضل على عباده بأن أجلهم بالعقوبة إلى الآخرة لعلَّهم يتوبون في الدُّنيا فغفر لهم وستر عليهم عاجلًا، ودفع عنهم الحدَّ باللعان حكمة منه، والحكمة في ذلك أنّه كما ستر في الدّنيا ولم يفضحهم بإظهار صدقهم وكذبهم أجَّلهم بالعقوبة لدرك التّوبة كذلك جعل سنة اللعان باقية بين المسلمين ليكون حكمة باقية بينهم[4].

بديع طريق الالتفات في ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾:

العناية بشأن مقام الفضل على المُخاطَبين وتسجيل المِنَّة عليهم

في قولِه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ على طريق الالتِفات؛ فقد التُفِتَ مِن خِطابِ الرّامينَ والمَرميّاتِ؛ للعناية بشأن مقام الفضل وتسجيل المِنَّة من اللّه تعالى عليهم بتشريع هذه الأحكام؛ أيْ: ولولا أنَّ اللّه تعالى تَفَضَّل عليكم ورحمكم - أيُّها

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 277.
(2) ابن عثيمين، تفسير سورة النّور، ص: 53.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 220.
(4) نجم الدِّين الكبرى، التَّأويلات النَّجميَّة، ص: 309.

المؤمنون - بسبب ما شرعه لكم في حكم الذين يرمون أزواجهم بالفاحشة؛ لولا ذلك لحصل لكم من الفضيحة ومن الحرج ما لا يُحيط به الوصف، ولكنّه سبحانه شرع هذه الأحكام سَترًا للزَّوجين، وتخفيفًا عليهما، وحضًّا لهما على التَّوبة الصّادقة النَّصوح[1]، فلا تَبقَى لدَيْهم أعذارٌ واهيةٌ يَتشبَّثون بها إذا هُم تَجاوَزوا حُدودَ ما بَيَّنه لهم[2].

دلالة عطف الرَّحمة على الفضل وسِرُّ تقديمه عليها:

عطف العامّ على الخاصّ زيادة في الامتنان

الفضل من آثار الرَّحمة في الحقيقة، لكنَّ الرَّحمة تكون فيما يضطر إليه العبد، وتكون في الزّيادة أيضا، والفضل في الزّيادة فقط، فيكون عطف الرّحمة هنا على الفضل من باب عطف العامّ على الخاصّ؛ لأنَّ الفضل من آثار الرَّحمة، لكنّه أخص منها؛ إذ إنّه زائد على ما يحتاج إليه العبد ويضطر إليه، وأمّا الرَّحمة فتكون فيما يحتاج إليه العبد وفيما زاد على ذلك[3].

سرّ إضافة الرَّحمة إلى الضمير الدّال على الجلالة:

في ذكر الرّحمة مضافة إلى الجليل ﷻ إظهار لمزيد إحسانه الذي منشؤه الرَّحمة التي هي صفة ذاتيَّة لله التي كتبها على نفسه[4].

سِرُّ اصطفاء الاسم الجليل التَّوّاب ودلالته:

الدَّلالة على كثرة التَّوبة على المُذنبين والإخبار بأنَّه لا يتعاظمه غُفران ما جَنوْه

وصف الله ﷻ نفسه بأنَّه توّابٌ؛ أيْ: كثير التَّوبة للمُذنبين من عباده رحمة بهم، وتهذيبًا لنفوسهم[5] ففي ذكر اسم الله التّوّاب تعريض بتوبة الكاذب منهما - أيِ: الزَّوجيْن - وإخبارٌ أنَّه لا يتعاظمه غُفران ما جناه الجاني منهما[6].

(1) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 10/ 90.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 159، والدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 567.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة النّور، ص: 53.
(4) الحجازيّ، تفسير الواضح: 2/ 657.
(5) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5152.
(6) الرَّسعنيّ، رموز الكنوز: 5/ 201.

سِرُّ جمع التَّوبة مع الحكمة:

الإشـــارةُ إلى فائدةِ مَشروعيَّةِ الـلِّـعـــانِ وحِكمتِه، وهي الـسَّـتْرُ عـن هـذه الفاحِشةِ العَظيمةِ

قوله تعالى: ﴿تَوَّابٌ﴾؛ أيْ: يقبل العاصين منكم، ويردُّهم إلى حظيرة المؤمنين الصالحين، إذا هم تابوا وأصلحوا، وهو سبحانه: ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حدّد من حدود ورصد من عقوبات، للمعتدين على حدوده[1] عبَّر النَّظم الكريم في نهاية الآية بكلمة ﴿حَكِيمٌ﴾ وليس بكلمة (رحيم) مع أنّ الرَّحمة تناسب التّوبة وقبولها؛ إشارةً إلى فائدةِ مَشروعيَّةِ اللِّعانِ وحِكمتِه، وهي السَّترُ عن هذه الفاحِشةِ العَظيمةِ فإنَّ اللّه أراد السّتر على عباده بتشريع اللعان بين الزَّوجيْن[2] ففصلت هذه الآية بـ ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ إثر بيان الحكم، جمعًا بين التّوبة المرجوة من صاحب المعصية، وبَيْنَ الحكمة في سترها على تلك الصّورة[3] وفي ذِكْرِ وصْفِ (الحكيم) هنا مع وصْفِ ﴿تَوَّابٌ﴾: إشارةٌ إلى أنَّ في هذه التَّوبةِ حِكْمةً، وهي استِصلاحُ النّاسِ[4].

توجيه المُتشابه اللَّفظي في الآية الكريمة ونظيراتها في السّورة الكريمة:

تَكرَّرَ قولُه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أربعَ مَرّاتٍ في سورة النّور في الآيات [10، 14، 20، 21]؛ وتكرُّرُهُ لاختلافِ الأجوبةِ فيه؛ إذ جَوابُ الأوَّلِ مَحذوفٌ تَقديرُه: لَفَضَحَكُم، وجوابُ الثّاني قولُه: ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النّور: 14]، وجوابُ الثّالثِ مَحذوفٌ تَقديرُه: لعَجَّلَ لكمُ العَذابَ، وجوابُ الرّابعِ: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النّور: 21][5].

وفيه مُناسبةٌ حَسَنةٌ؛ حيثُ جاءَ قولُه هُنا في آخرِ العَشْرِ الأولى مِنَ السّورةِ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، وقال في آخرِ العِشرينَ مِن أوَّلِ السّورةِ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ

(1) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 9/ 1226.
(2) السُّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 352.
(3) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 7/ 335.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 169.
(5) الأنصاريّ، فتح الرَّحمان، ص: 394.

عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النّور: 20]؛ فاختَلَفَتْ خاتِمَتا الآيتَين، وحُذِفَ جَوابُ (لَوْلا) منهُما؛ ووَجْهُه: أنَّه ذُكِرَ هُنا وصْفُ اللّهِ بأنَّه تَوّابٌ حَكيمٌ؛ لِما مرَّ مِن الأحكامِ العظيمةِ المُشتملةِ على التفضُّلِ مِن اللّه والرَّحمةِ منه، والمُؤْذِنةِ بأنَّه توّابٌ على مَن تاب مِن عبادِه، والمُنبِئةِ بكمالِ حكمتِه تعالى؛ إذ وضَعَ الشِّدَّةَ مَوضعَها، والرفقَ مَوضعَه، وكفَّ بعضَ الناسِ عن بعضٍ، وذُكِرَ بعد ذلك وصْفُه بأنَّه رَءوفٌ رَحيمٌ؛ لأنَّ هذا التَّنبيهَ الَّذي تَضمَّنَه التَّذييلُ فيه انتِشالٌ للأُمَّةِ مِن اضْطِرابٍ عظيمٍ في أخلاقِها وآدابِها، وانفِصامٍ عُرَى وحْدَتِها، فأنقَذَها مِن ذلك رَأفةً ورَحمةً لآحادِها وجَماعتِها، وحِفْظًا لأواصِرِها، وذَكَر وصْفَ الرَّأفةِ والرَّحمةِ؛ لأنَّه قد تَقدَّمَه إنقاذُه إيّاهُم مِن سوءِ مَحبَّةِ أنْ تَشيعَ الفاحشةُ في الَّذين آمَنوا، تلك المَحبَّةُ الَّتي انطَوَتْ عليها ضَمائرُ المُنافقينَ، كان إنقاذُ المُؤمِنينَ مِن التَّخلُّقِ بها رأفةً بهم مِن العذابِ، ورَحمةً لهم بثَوابِ المَتابِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّحمة والرّأفة:

الرَّحمةُ والرَّأفةُ كلمتان مُتقاربتان في المعنى، إلّا أنَّ بينهما فروقًا لطيفة، فالرَّأفةُ: رقَّةٌ تنشأ عند حدوث ضُرٍّ بالمرؤوف به، يُقال: (رؤوف رحيم)، والرَّحمةُ: رقَّةٌ تقتضي الإحسان للمرحوم[2].ويُفَرَّق بين الرَّأفة والرَّحمة أيضًا بأنَّ الرَّأفة مُبالغة في رحمة خاصَّة، وهي دفع المكروه وإزالة الضَّرر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾؛ أيْ: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجَلْد عنهما، وأمّا الرحمةُ فإنَّها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإنعام[3].

الرّأفة أبلغُ من الرَّحمَة؛ لأنّها أشدُّ الرّحمةِ، وهي أَرَقُّ مِنَ الرَّحمَةِ

(1) الإسكافيّ، دُرَّة التَّنزيل، ص: 950، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 185، 186.
(2) ابْنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/ 239.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 4/ 93.

والرَّأفة أيضًا هي أن يدفع عنك المضارَّ والرَّحمة أن يوصِل إليك المسارَّ، فالرَّأفة من باب التَّخْلية، والرَّحمة من باب التَّزكية، والرَّأفة مُبالغةٌ في رحمةٍ مخصوصة، فهي أشدُّ الرّحمةِ وهي رفع المكروه وإزالة الضُّر، فذِكْرُ الرَّحمةِ بعدها في القرآن مُطَّردًا؛ لتكون أعمَّ وأشمل[1] فبينهما عموم وخصوص مُطْلق، فالرَّأفة خاصَّة في دفع المكروه عن المرحوم، بينما الرَّحمة تشمل هذا المعنى وغيره.

(1) أبو البقاء الكَفويّ، الكُلّيّات، ص: 471.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»